



لـأ الكثـير من العـائلـات ضـمـن مـوجـات النـزـوح الدـاخـلي فـي سـورـيا إـلـى أـبـنـيـة قـيـد الإـنـشـاء وـغـير جـاهـزة لـلـسـكـنـ، وـأـصـبـحـ العـدـيد من منـاطـق رـيف دـمـشـق - الـهـادـئـ نـسـبـيـاـ. مـكـظـاـ بـالـسـكـانـ فـي حـين تـعـيـشـ مـئـاتـ الـأـسـرـ فـي مـبـانـ بـلـا نـوـافـذـ وـأـبـوـابـ وـتـفـقـرـ لـتـمـيـدـاتـ الـكـهـرـبـاءـ وـالـمـاءـ وـالـصـرـفـ الصـحـيـ.

وـفـي زـيـارـة إـلـى إـحـدـى تـلـكـ التـجـمـعـاتـ مـرـتـ الـجـزـيرـةـ نـتـ بـمـنـاطـقـ خـاوـيـةـ مـنـ سـكـانـهاـ تـظـهـرـ فـيـهاـ آـثـارـ الدـمـارـ وـالـحـطـامـ، فـجـوـبـ وـزـمـلـكاـ وـالـقـابـونـ وـدـوـمـاـ وـحـرـسـتـاـ تـغـصـ بـالـبـيـوـتـ الـمـهـدـمـةـ وـالـمـحـتـرـقـةـ وـالـسـيـارـاتـ الـمـدـمـرـةـ، وـأـتـوـسـتـرـادـ حـرـسـتـاـ الـذـيـ كـانـ يـضـمـ أـهـمـ سـوقـ لـتـجـارـةـ السـيـارـاتـ أـصـبـحـتـ الـرـيـاحـ تـصـفـرـ فـيـ صـالـاتـ عـرـضـهـاـ ذاتـ الـوـاجـهـاتـ الـمـحـطـمـةـ.

مـعـظـمـ سـكـانـ تـلـكـ المـدـنـ هـرـبـواـ بـأـرـواـحـهـمـ، الـمـحـظـوـنـ مـنـهـمـ وـجـدـواـ بـيـوـتـاـ بـدـيـلـةـ تـؤـويـهـمـ لـكـنـ الـكـثـيـرـينـ اـضـطـرـرـواـ لـلـجـوـءـ إـلـىـ أـبـنـيـةـ قـيـدـ الإـنـشـاءـ فـأـغـلـقـواـ الـنـوـافـذـ وـأـبـوـابـ بـمـاـ تـيـسـرـ لـهـمـ مـنـ مـشـعـعـاتـ وـبـطـانـيـاتـ وـقـطـعـ خـشـبـ أـوـ حـجـارـةـ بـنـاءـ.

مـعـيـشـةـ سـيـئـةـ

قـرـابـةـ ثـلـاثـةـ آـلـافـ شـقـةـ عـلـىـ هـذـاـ الـحـالـ فـيـ أـحـدـ التـوـسـعـاتـ بـرـيفـ دـمـشـقـ حـيـثـ تـفـقـرـ لـكـلـ مـقـومـاتـ الـعـيـشـ اـبـتـدـاءـ مـنـ الـطـرـقـ غـيرـ الـمـعـبـدةـ حـيـثـ يـصـبـحـ الـوـحـلـ مـشـكـلـةـ كـبـيرـةـ عـنـ نـزـولـ الـمـطـرـ وـتـجـمـعـ الـمـيـاهـ فـيـ السـاحـاتـ، مـرـورـاـ بـاـنـعـدـامـ تـمـيـدـاتـ الـمـيـاهـ أـوـ الـكـهـرـبـاءـ، وـصـوـلـاـ إـلـىـ الـلـازـدـحـامـ الشـدـيدـ فـيـ أـعـدـادـ الـنـازـحـينـ وـرـدـاءـةـ أـوـضـاعـهـمـ الـمـعـيـشـيـةـ.

فـيـ شـقـةـ مـؤـلـفـةـ مـنـ ثـلـاثـ غـرـفـ صـغـيرـةـ تـؤـويـ سـبـعـةـ وـثـلـاثـيـنـ شـخـصـاـ تـعـيـشـ جـدـةـ وـأـلـدـاـهاـ وـأـحـفـادـهاـ مـنـذـ رـمـضـانـ الـمـاضـيـ حـيـثـ أـجـبـرـهـمـ الـقـصـفـ عـلـىـ مـغـارـدـةـ بـيـتـهـمـ دـوـنـ أـنـ يـحـمـلـوـاـ مـعـهـمـ أـيـ شـيـءـ مـنـ مـتـاعـهـمـ أـوـ ثـيـابـهـمـ.

قالت العجوز "أمضينا ثلاثة أيام ونحن ننطف المكان ونقوم بترحيل الرمال والأتربة في الشقة ونحاول سد النوافذ والأبواب".

البطانيات هي الوسيلة الوحيدة المتاحة للتخفيف من البرد حيث يقوم المتبرعون والهلال الأحمر بتوزيعها عليهم. وحاولت بعض الأسر الحصول على الكهرباء من الخطوط العامة التي تبعد مسافة لا يأس بها عنهم.

ويعتمد النازحون بشكل أساسي على المعونات الغذائية التي تصلهم، إذ أصبحت العائلة الكبيرة بلا دخل مادي.

ويقوم السكان بالحصول على كل احتياجاتهم من مياه الشرب والغسيل والاستحمام من بعض الخزانات البلاستيكية المنتشرة بين الأبنية ويكفيها ضئيلة.

ومن ناحية أخرى يبدو تجمع القمامات إحدى المشاكل المتعلقة بالخدمات في تلك المنطقة التي ازدحمت بآلاف اللاجئين دون تهيئة مسبقة، وكذلك مشاكل الصرف الصحي حيث تعم مداخل الأبنية رواح كريهة.

أساليب للكسب

وعند التجول في المدينة المزدحمة ورغم برودة الطقس فإن الكثير من النازحين لجأوا لكسب الرزق في أكشاك نصبوها من الأخشاب والمسموعات يبيعون فيها الخضار والأطعمة ومواد البقالة وحتى الثياب المستعملة.

فأصحاب المحلات المهجرين حاولوا البدء من تحت الصفر في هذا التجمع ببيع المأكولات الشعبية في أكشاك بدائية عرضة لأن تقلعها الرياح في أي وقت، لينتج عن تجمعهم شيء أشبه بالسوق الصغير الذي يؤمن احتياجات النازحين ويوفر مصدر رزق لبعض العائلات.

وكثير من هؤلاء الباعة أطفال في سن المدرسة أصبحوا بلا تعليم ويحاولون كسب قوت يومهم ولو ببيع زجاجات تحوي لترین من الوقود بسعر مضاعف.

ظروف المعيشة تلك لا تقتصر على هذا التجمع فالبيوت غير المكسوة التي يعيش فيها النازحون أصبحت شائعة في كثير من الأماكن وأصبحت النوافذ التي يسددها مشموع أو بطانية منظراً مألوفاً في ريف دمشق.

المصادر: